صورة الرجل عند شاعرات الأندلس - الرؤية و التشكيل -

The Image of the man according to the poets of Andalusia – vision and formation -

عبد الحفيظ خامر*
جامعة قسنطينة 1 (الجزائر)
abdelhafidkhamer@gmail.com

تاريخ الارسال:2022/07/16	تاريخ التقييم:2023/06/18	تاريخ القبول:2023/06/23

الملخص:

تبحث الدراسة في صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية من خلال تقصي أشعارها، فقد نال في شعرها مكانا رحبا ،و معلوم أنؤ رؤيتها له تختلف عن رؤيته لها، رؤية تتعلق بصفاته المتنوعة و أخلاقه المتباينة، فاستطاعت أن تحدد و ترسم له صورة بناء على ما صدر منه من أفعال و أقوال و ما تمتع به من أخلاق.كما أن هذه الرؤية تخضع إلى نفسية المرأة و ما اكتسبته من ثقافة و علم ، فجاءت تلك الرؤية متعددة الملامح مختلفة الأوجه تبعا للمعيار الذي بنيت عليه.

كلمات مفتاحية: المرأة ؛ الشعر النسوي الأندلسي ؛ الصورة ؛ الأخلاق ؛ الرجل

Abstract :The study examines the image of the man in the poetry of Andalusian women by investigating her poetry, In the Andalusian woman's poetry, he gained a large place,but her vision of him differed from his vision of her, as she looks at him according to her own personal perspective, a vision related to his characteristics and morals, so she was able to determine and draw a picture of him based on his actions and words and the manners he has .This vision is subject to the woman's psyche, culture and science she has acquired, and this vision came with different faces according to the criteria which was based on.

Keywords: Woman ; Poetry of Andalusian woman ; Image ; Manners ; Ma.

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة

تمكنت المرأة الأندلسية أن تشارك الرجل في النشاط العلمي و الأدبي ، فلا يمكن لدارس الأدب الأندلسي أن يتجاوز حضورها أو إنكار إنتاجها و إبداعها، فقد ظهرت منها نماذج مشرقة لم يعرفها أي عصر آخر، و في ميدان الأدب ظهرت "شواعر كثيرة موزعة على مختلف عصور الأندلس أحصى الدارسون عددهن فكن قرابة الثلاثين شاعرة"[1] هذا العدد الكبير الذي يتخطى عدد شواعر المشرق مجتمعات في كل العصور يرجع إلى أن "تعليم المرأة في الأندلس كان أمرا مألوفا إذ كان الأندلسيون يبعثون الفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر كي يتعلمن المواد نفسها التي تدرس للصبيان عادة، و بعضهن يواصلن التعليم العالي و يحصلن على الإجازات نفسها التي يحصل عليها الرجال"[2] و من جانب آخر يمكن أن تكون " كثرة عدد شواعر الأندلس بالقياس إلى عددهن في الشرق يعطي صورة توحي بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم و المعرفة و التحرك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق العربي، فقد كان بعض المتأدبات يترددن على منتديات الرجال و النساء على حد سواء المتعلمة و المثقفة و المربية للنشئ و الطبيبة، و منهن من ضربت بسهم ونالت نصيبا وافرا في مضمار الشعر، جعلها تعدل كفة ميزان الإبداع الأدبي بينها و بين الرجل و أحيانا تزيد عنه صراحة و جرأة لأنها كانت تتمع بقسط وفير من الحرية و النفوذ لم تعرفهما بغداد في أوج ازدهارها و ذلك يرجع لسببين رئيسيين: أولهما: احتكاك المرأة هنا بالشعوب الأوروبية التي أثرت في ذلك المجتمع العربي الناشئ ببعض خصائصها و ذلك عندما قويت الصلات بين العرب و النصارى بحكم المصاهرة أو المجاورة أو التحالف، و ثانيهما: اختلاط العرب بكل أطياف المجتمع الأندلسي من البربر و النصارى و اليهود... فقد كانت للمرأة في مجتمعاتهم مكانة تختلف عن مكانتها في المجتمع العربي"[3] ، و في ميدان الشعر النسوي الأندلسي نجد أن الرجل قد احتل مكانة كبيرة نظرا لعوامل كثيرة أسهمت في تعميق مشاركة المرأة للرجل و تطويرها، لذلك التقط شعرهن صورة خاصة للرجل ،تختلف - كما و كيفا - عن الصورة الموجودة لدى شواعر الشرق "[4]، و لعل ولادة بنت المستكفي التي نجحت في اجتذاب عدد كبير من الشعراء إلى منتداها الأدبي تعتبر مثالا لهذا اللون من النشاط النسائي و تحرر المرأة في الأندلس، فقد أورد ابن بسام عنها " كان مجلسها بقرطبة

منتدى لأحرار المصر و فناؤها ملعبا لجياد النظم و النثر، يعشو أمل الأدب إلى ضوء غرتها، و يتهالك الشعراء و الكتاب على حلاوة عشرتها"[5]. وهكذا نجد المرأة الأندلسية تحمل الكثير لتمنحه لمجتمعها، فعدا عن مشاعرها الفياضة بالحب و الحنان تجاه شريكها الرجل تتسع آثارها في الحياة على مستوى الواقع العملي فتتولد منها أدوار ايجابية فتشع علما غزيرا و إبداعا راقيا و خلقا جليلا لتؤثر في الحياة، فهي كما أسلفنا مربية الأجيال و صانعة الرجال و هي الفنانة التي تزين بإبداعها صورة شريكها الذي تحبه و تفتح بذات الوسيلة صورة من بعضه، فلنا أن نسأل ماهي مميزات شعرها ؟و كيف نظرت الشاعرة الأندلسية إلى الرجل ؟وبأي معيار قدمت صورته لنا في شعرها ؟.

2.خصائص الشعر النسوي الأندلسي:

إن الدارس لشعر المرأة في الأندلس يلاحظ أن قصائدها تتألف من مقطوعات صغيرة تتألف من البيت و البيتين أو الثلاثة، فلم تكن شواعر الأندلس يكتبن المطولات كما هو معروف عند الرجال، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة المواضيع التي تفتحها الشاعرة الأندلسية فهي غير معنية بأحداث الحروب ومواقف المدح ومضارب الفخر و الأغراض والمواضيع التي تحتاج إلى طول نفس وعدد كبير من الأبيات. و بتتبع و رصد الشعر النسوي في الأندلس يمكن القول "أن الشاعرة الأندلسية لم تتقيد أو تتبع في بناء قصائدها المنهج التقليدي كاستهلال القصيدة بمقدمة غزلية ثم الغرض وبعد ذلك الخاتمة ...وإنما كانت تدخل مباشرة إلى الغرض التي كانت تقصده"[6].و الملاحظ أيضا أن شعر المرأة الأندلسية يتسم بوحدة الموضوع و بأسلوبه الرقيق العاطفي الذي يعبر بصدق عن أحاسيس و مشاعر المرأة. و قد نظمت شواعر الأندلس في كثير من الأغراض الشعرية فكانت تفخر بنفسها و أنوثتها كما نظمت في الشكوى و العتاب و الرثاء و الغزل و السخرية و تطرقت إلى الموشحات لكن ما يغلب عليها هو غرض الغزل ، فقد اهتمت به الشاعرة الأندلسية لأنه ناشئ عن الإعجاب العقلي و الحب القلبي، و المرأة عموما تعطي حيزا كبيرا للحب و العاطفة لأنه يدخل في تركيبها الخلقي، و المتأمل في حياة المرأة يجد في كثير من الأحيان تحول الغزل إلى هجاء و معه تتحول مشاعر الود و الحب إلى إحساس بالمرارة و الخيبة جراء ما تتلقاه من خيانة أو إهمال من طرف من تعلقت به، لهذا نجد في شعر المرأة الأندلسية صورتان للرجل تعكسان نظرتها إليه تبعا لمشاعرها و موقفها منه.

1.2.الصورة الإيجابية:

تغزلت المرأة الأندلسية بالرجل فأظهرت له صورة مشرقة ماتعة جميلة وأبانت في قصائد الغزل عن مشاعرها الفياضة و إحساسها الرقيق ، فرأت في الرجل ما يراه الرجل فيها فتغنت بصفاته الخلقية و الخلقية على حد سواء، و أجادت حين صورته و وصفت ما أعجبها فيه و ما شدها إليه.

2.2.تصوير الجمال الجسدي:

نظرت المرأة الأندلسية إلى جسد الرجل باعتباره مصدرا للقوة و مكمنا يتحمل الصعاب فرأت فيه الحماية و الركن الشديد الذي لا يمكن أن يقربها سوء و هو موجود.كما كان جمال الجسد و وسامته مصدر إعجاب كبير، و قد عبرت عن ذلك الشاعرة البلشية -نسبة إلى مدينة بلش- و هي "تصف خد حبيبها بالورد في حسنه و بياضه ثم تتطرق إلى شخصيته فهو يبدو غضبانا نفورا و لكنه في الخلو معها يرضيها"[7] وقالت:

"لي حبيب خده كالـ ورد حسنا و بياض

هو بين الناس غضـ بان و الخلوة راض"[8]

وليس ببعيد عن معاني الشاعرة الشلبية نجد الجارية أنس القلوب تتغنى بخد حبيبها قالت:

"فكأن النهار صفحة خد و كأن الظلام خط عذار"[9]

فهنا كان الغزل بجمال الخد الذي يشبه النهار في بياضه و عذاره كأنه ظلام الليل و كأنها تريد إبراز جماله بإيراد الأضداد وكأنها تتمثل قول الشاعر:

ضدان استجمعا فحسنا والضد يظهر حسنه الضد

وأحيانا تصف المرأة الأندلسية جمال حبيبها بالشمس أو القمر أو النجم وهي صورة حسية تشترك فيها النساء مع الرجال في النظرة الحسية لعالم الخيال الخلقي، فالرجال كثيرا ما تغزلوا بالمرأة واصفين وجهها بالقمر المضيء في الليل و بالبدر المكتمل. و هكذا كان الحال عند الشاعرة الأندلسية فقد وصفت حبيبها بالقمر أو البدر، تقول ولادة بنت المستكفي :

يا أخا البدر ضياء و سنـا حفظ الـله زمـــانا أطلعك

إن يطل بعدك ليلي فلكم بت أشكو قصر الليل معك [10]

الشاعرة ترى حبيبها أخا للبدر في ضياءه و جماله و تعلل نفسها إن كان ليلها قد طال بعده فكم كانت تشكو قصره و هي معه ، و في هذين البيتين " من جمال السبك و رقة الشاعرية و حلاوة اللفظ المعبر عن مضطرم الشوق و لاعج العاطفة ما يكفي لجعل ولادة شاعرة متفوقة بين شعراء عصرها "[11]

و تقول نزهون الغرناطية في وصف حبيبها:

لله در الليـــــــــالي ما أحيسنهـــا وما أحيسن منها ليلـــــة الأحد
لو كنت حـــــــــاضرنا وقد غفـلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي أسد[12]

تكشف دلالة التصوير البياني أن وجه الشبه بين الحبيب و القمر هو الوضاءة، فالشاعرة تصف لحظة لقائها بحبيبها في مشهد يتسامى على الواقع ، فهي تسبغ على نفسها صفات الشمس و قت الضحى و تلبس حبيبها صفات القمر الذي يمسك فلك الشمس بين ذراعيه، "فالتشبيه يقع بين الأنثى و الشمس لأنها تشع جمالا و ألقا و بين الرجل و القمر الذي يمثل النور و الهيبة و البهاء"[13]وأحيانا ترى الشاعرات الرجل أقرب إلى الشمس في ظهوره وجماله فتسبغ عليه أوصافا جمالية مرتبطة بوجود الشمس فيفضلها ، و تستمر الحياة ويتجدد اللقاء كلما أشرقت. تقول حفصة بنت حمدون:

بوجه كمثل الشمس يدعوه ببشره العيون و يثنيها بإفراط هيبته[14].

نرى أن الشاعرة تصور وجه حبيبها "بالشمس التي تبعث في النفس البشر و السعادة لجمال الحياة و في الوقت ذاته تنثنى العيون عنه هيبة منه لعظم شأنه تماما كالشمس لا نستطيع النظر إليها لفرط أشعتها الساطعة على الرغم من ارتباط حياتنا بها و بوجودها"[15].وتحملنا حفصة الركونية إلى تشبيه آخر بديع لجمال حبيبها و بهاء وجهه فتنتزع من النجم سموه و لمعانه و تعطيها لحبيبها الذي يظهر كنجم في حياتها فتقول:

و لو لم يكن نجما لما كان ناظري وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من ثمج ثناءت بنعماه و طيب سروره[16]

يظهر الرجل من خلال هذا الوصف أن وجوده حياة انشراح وغيابه ظلام و انتفاء للسعادة ، و يعلق يوسف عيد عليها قائلا "و هذه هي لوعة الحب القاتلة التي تذيب الإنسان و تغطي عليه" [17].

3.2.الوفاء:

"تقدس الوفاء في كل الملل ،وعظمه كل جنس من أجناس البشر ، لأنه خلق يحمل معاني الود و الإخلاص و المحافظة على العهد و البذل و العطاء و هو صفة عظيمة من شيم النفوس الشريفة و الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة يعظم صاحبها في العيون و تصدق فيه خطرات الظنون"[18].و من طبيعة المرأة أنها ميالة إلى من يصون عهدها و لا يخون حبها و

حينما " يشعر الرجل المرأة أنها محور حياته و بحبه و إخلاصه تصبح العلاقة في مجملها تبادلية بالأخذ و العطاء و يبقى سحر الحب حيا بين أولاد آدم و حواء يضبطه الوفاء حتى و إن فرق بينهما القدر"[19].و قد صورت الشاعرة حسانة التميمية صورة حبيبها الوفي الذي تعاهد معها على الحب و الإخلاص مهما حدث و جرى ،و هي بذلك تقابله بالعطاء ذاته ولا تتخلى عن حبه و تحافظ على عهده حتى بعد أن يخطفه الموت و في هذا المعنى تقول:

كنا كغصنين في أصل غذاءهم ماء الجداول في روضات جنات
وكان عاهدني إن خـــــانني زمني أن لا يضاجع أنثى بعد مثواتي
و كنت عاهدتـــــه أيضا فعاجله ريب المنون قريب منذ نسياني
فاصرف عناتك عمن ليس بردعها عن الوفاء خلاب في التحيات[20]

إن المتأمل في هذه الأبيات يلحظ بوضوح صورة ثنائية الجانب للرجل و المرأة اللذين يتبادلان الوفاء والإخلاص في أسمى المراتب و في مشهد يعكس مدى أهمية الزوج لزوجه " و هذا فرض لازم و حق واجب على المحبو المحبوب،لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له و لا خير عنده "[21]

4.2.الشجاعة والقوة:

الشجاعة مفخرة العربي وحليته التي يتزين بها عند مقارعة الأقران في ساحات الطعان، "وقد تعددت مظاهر الشجاعة عند العربي فمدحوا الموت تحت ظلال السيوف ورأوا أن الإقدام لا يدني الأجل و أن الحياة الجديرة بالبقيا إنما هي حياة الفتوة و المجد و الشجاعة، و شعارهم أن الإقدام حياة و مجد و الفرار معرة و موت حقير و افتخروا بصبرهم عند اللقاء و إن كان لقاء عنيفا حتى ينتصروا"[22].وهي من الصفات التي تغني بها الشعراء منذ القدم، فغمروا من اتصف بها بكل مظاهر الإجلال و التقدير، و هي من أهم الصفات التي ترغبها المرأة في الرجل و لذلك يجد الدارس للأدب الأندلسي أن شواعر الأندلس وجدن في صفات الأسد ما يرمز إلى الشجاعة فصورن الفرسان في ميادين الحرب به، و خلعن عليهم صفات الأسد تعبيرا عن الفتوة و الإقدام و الثبات في ساحات الوغى و من ذلك قول عائشة القرطبية تصف ولدا للمنصور بن أبي عامر:

أراك الله فـــــيه ما تريـــــــد و لا برحت معـــــاليه تزيد
فقد دلت مخايلـــــــــه على ما تأمله و طالعه الســـــعيد
تشوقت الجياد له و هز الحسام هوى و أشرقت البنـــــود
و كيف يخيب شبـــل قد نمته إلى العليا ضراغمـــة أسود
فأنتم آل عـــــــــامر خير الز كا الأبنـــــاء منكم و الجدود
وليدكـــــــــــم له رأي شيخ و شيخكم مدى الحرب وليد[23]

فهذا الولد في نظر الشاعرة بشرى خير بمستقبل زاهر يكون فيه فارسا جلدا شجاعا مقداما في ميادين القتال فالخيل في انتظاره والسيوف تهتز شوقا لقبضة يده و الرايات ترفرف لانتصاراته و هو بين الجيوش كالأسد فهو أشبه ما يكون بآباءه الذين يملكون عقول شيوخ في شبابهم و يملكون سواعد الشباب في الحروب "و وجه الحسن في هذه الأبيات العبارة الرقيقة السلسة التي تجري كأنها جدول رقراق ينساب فيعجب العين و تطرب الأذن "[24]. و صورة الأسد التي يتحلى بها الرجل تتعدى ساحات الحرب إلى ساحات الحب و المودة و الألفة فالشاعرة نزهون الغرناطية تصور لنا جلسة حميمية و هي بين أحضان حبيبها و هو يضمها كالأسد، مما يدل على صلابة جسمه و قدرة احتماله و صبره عند الشدائد فتقول:

أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي أسد[25]

و البيت دليل على أن المرأة تعشق الرجل بقوته و شجاعته و صلابته في القدرات الجسدية سمات مرغوبة في الحبيب فهي صفات تدل على قدرة الحبيب و فحولته على حماية الأنثى و احتواءها .

5.2.الكرم و الجود:

الكرم خلق الأكابر و صفة توصل للمعالي و هو العطاء دون مقابل، و هذه الخصلة موجودة عند العرب منذ القدم و لا يزال اسم حاتم الطائي يرمز للكرم إلى يوم الناس هذا "وقد أحبت المرأة الرجل الكريم السخي لأنه يكسب قلبها و شعورها ،و كثرة عطاءه و سخائه تثير الإعجاب فيها، لأنها تشعر أن ما يقدمه لها من هدايا هو تقدير لذاتها و إحساس بوجودها دون تصريح بذلك"[26].و هذه الشاعرة حسانة التميمية تعبر عن صفة الكرم عند الأمير عبد الرحمان الثاني فتقول:

إلى ذي الندى و المجد سارت ركائبي على شحط تصلى نار الهواجر

إن تحمل قيض الصيف و حرارته و مشقة السفر و عناءه و طول الطريق و بعده للوصول إلى صاحب المجد و الكرم إلى الأمير السخي الجواد رجاء عطاءه و النيل من فضله و حسب الشاعرة أنه كلما زادت المشقة للوصول إلى الأمير زاد سخائه و كرمه. .و المرأة الأندلسية اهتمت اهتماما بالغا بهذه الصفة التي أشادت بها في شعرها و صورت جود و كرم الرجل في أبيات كثيرة و هذه مريم بنت يعقوب الأنصاري تمدح ابن المهند بعد مساجلة شعرية بعث لها دنانير و أبياتا من الشعر يثني على أدبها و شاعريتها:

من ذا يجـــاريك في قول و في عمل و قد بدرت إلى فضل و لم تســـــل
ما لي بشكر الذي نظمــت في عنقي من اللآلي و ما أوليت من قبـــــل
حليتني بحلي أصبحت زاهـــــــية بها على كل أنثي من حـــــلي عطل
لله أخلاقك الغـــــر التي سقيت ماء الفرات غرقـــــــت رقة الغزل
اشتهت في الشعر من غارت بدائعه و أنجدت و غـــــدت في أحسن المثل
من كان والـــــده العصب المهند لم يعد من السبيل غير البيض و الأسل[27]

الشاعرة تمدح الرجل النبيل الذي أكرمها و جاد عليها حتى أصبحت تفتخر بعطاءه أمام النساء، و ترجع الشاعرة أخلاقه و كبير كرمه لأصله الشريف و إلى والده الذي أحسن تربيته، فقد افتتحت أبياتها بالثناء عليه حتى انتهت إلى شكره على ما أنعم عليها و على المنوال نفسه تقدم الشاعرة "قمر" صورة لكرم ابراهيم في الحجاج مولاها فتقول:

ما في المغارب من كريم يرتجى إلى حليف الجود ابراهيم
إني حللت لديــه منول نعمة كل منزل عـــــاداه ذميم[28]

تعترف الشاعرة أن ما يبقيها في منزل سيدها إبراهيم إنما هو كرمه و حسن عشرته و رقة معاملته و بذلك يصير منزله منزل نعمة و غيره ذميم.و لعل من ألطف و أغرب وصف لكرم الرجل هو وصف الشاعرة حفصة بنت حمدون للوزير ابن جميل فقد نشر عطاءه على جميع الناس دون استثناء و بذلك اكتسب هو و الدهر الثناء الجميل فتقول:

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا فكل الورى قد عمهم سبب نعمته[29]

لقد زين ابن جميل الدهر بجميل كرمه، فنال من عطاء نعمته جميع الناس و التعميم في قول الشاعر "كل" شمل جميع الناس دون استثناء المحتاج و غير المحتاج، و كأن عطاءه لجميع الناس.

3. الصورة السلبية:

تشكلت صورة سلبية للرجل في شعر المرأة الأندلسية بناء على صفات سيئة تثير الغرابة و الاستهجان و أحيانا التذمر "لخلوها من المحاسن و الجمالية التي تريح الناظر، و تبعد عن الإحساس بالذوق الرفيع و تدعو إلى التعريض بصاحبها و إبراز عيوبه أو تجسيمها لتغدو أكبر من حقيقتها"[30]، وكما أظهرت شواعر الأندلس محاسن الرجل و صفاته الحسنة أظهرت صفاته السيئة و عيوبه المخفية و سعت إلى تنفير المتلقي منه ومن هذه الصفات:

1.3. قبح الشكل:

اختلفت أراء الناس في تحديد علامات القبح، فربما كانت زيادة في الطول أو قصر أو ربما كانت نقصا في الهيئة كاعوجاج في الأنف أو ضخامة فيه أو تشوه في عضو من أعضاء الجسم كأن يكون الرجل أعمى أو أعرجا أو أعورا و غيرها من العاهات البدنية، وكما أن جمال الشكل يثير الشاعرة لتمدح مدحا رائقا فالقبح يهيج الشاعرة للهجاء والوقوع في من كانت صفاته الخلقية لا تعجبها. وعلى العموم فإن القيم الجمالية قد استحوذت "على تفكير النقاد مدة من الزمن، فكانوا يحاسبون الأدباء عليها، متبعين مواطن الإجادة و مواضع العيوب في نتاجهم فإذا ما تجاوز الأدباء القيم الشكلية إلى القيم المعنوية فإن نتاجهم يخضع إلى معيار العرف و التقليد "[31]، وقد صورت شواعر الأندلس الرجل القبيح شكلا الذي تأنف المرأة أن ترتبط به بأي شكل من الأشكال لا من جهة الزواج أو عاطفة الحب و الغرام، فهذه الشاعرة نزهون الغرناطية تصف رجلا قبيحا عرض عليها الزواج فرفضته وقالت:

عذيري من عاشق أنوك سفيه الإشـــــارة و المنزع
يروم الوصال بما لو أتى يروم به الصفع لم يصفع
برأس فقيـــــر إلى كية روحـــــــه فقير إلى برقع

فهذا العاشق مع حمقه "أنوك" سفيه الرأي و بشع الوجه إذ يحتاج إلى برقع يخفي قبح وجهه و بشاعة منظره فمثله لا ينظر إليه و لا يمكن الارتباط به . و الشاعرة عائشة القرطبية تسلك مسلك نزهون فقد رفضت الإرتباط برجل قبيح الوجه بشع تصفه بالكلب قالت:

و لو أني أختار ذلك لم أجب كلبا و كم علقت سمعي عن أسد
أنا لبؤة لكنـــــــني لو أرتضي نفسي مناخا طول دهري من أحد[32]

فالشاعرة "رغم كونها امرأة لكنها ذات إباء و همة و كبرياء، فهي ترفض أن تكون مناخا لأحد طول الدهر و لا ترضى الزواج و إن هي أرادت ذلك ما قبلت بهذا الكلب و كم سدت أذنيها عن الأسود"[33]، فصفة الكلب صفة قبيحة ذميمة توحي بالدونية و سوء المنظر و هذه الصورة بلا شك تبعث في النفس الاشمئزاز و التقزز.و من الصفات التي تبعث في نفس المرأة الرفض الهرم و التقدم في العمر، فهذه الشاعرة أم العلاء بنت يوسف الحجازية حين طلبها رجل طاعن في السن للزواج و قد اشتعل رأسه شيبا قالت:

يا صـــبح لا تبد إلى أجنحتي فالليل لا يبقى مع الصبح
الشيب لا يخدع فيه الصبا بحيلة فاسمـع إلى نصحي[34]

إن التقدير عند الشاعرة أن الشيب لا يصلح أن يكون إلى جنب الشباب لأنه صفة تدل على قبح معنوي و إن كان صاحبه مقبول الشكل، فقد "ردت خاطبها بأدب جم إذ تصوره بالصبح، لأن الشيب غطاه و صورت نفسها بالليل، لأن شعرها الأسود ينسدل عليها فإذا اقترب الصبح من الليل فإنهما لن يبقيا معا على حال واحدة، فالصبح يزيح الليل و الليل يزيح الصبح شيئا فشيئا، فلا يمكن أن يلتقيا"[35] فهما ضدان و الأضداد لا يمكن أن تلتقي ، و نعود إلى نزهون الغرناطية التي هجت الشاعر أبا بكر المخزومي فقالت:

قل للوضيع مقـــالا يتلى إلى حين يحشر
من المدور أنشـــئت و الخرا منه أعطـــر
حيث البداوة أمست في مشيها تتبـــــختر
لذاك أمست صبـــا بكل شـــــيء مدور
خلقت أعمى و لـكن تهـــــــيم في كل أعور
جازيت شعـــرا بشعر فقل لعمري من أشعر
إن كنت في الخلق أنثى فشعـــــــري مذكر[36]

و الوضيع هو الدنيء بين الناس و المنحط و لا يرغب في المعالي و الشاعرة تعيره بوضعه المزري إذ أنه أقذر من النجاسة لأنه نشأ في المدور حيث الغنم و الروث و الإبل و فضلاتها و تذكره بعاهة العمى التي تجعله منبوذا في كل مقام ومجلس. و المرأة تستخدم حواسها في رسم صورة الرجل القبيح إذ تنظر في ملامحه وتعبر عن استهجانها للقبح ونفورها من كل منظر يثير الاشمئزاز فأحيانا تعيره بريحه و أحيانا بشكله و أحيانا بعاهة أصابته و أحيانا أخرى بسوء منظره.

2.3.الخيانة:

الخيانة خلق ذميم وصفة قبيحة وعمل شائن يدمر الطرف الآخر و يجعله حاقدا ومبغضا بعد حب و ود، والرجل الخائن لم ينصف المرأة في قانون الحب إذ أنهما اتفقا على الوفاء لبعضهما ،فالخيانة خنجر في قلب الحبيب، وكسر لعلاقة الحب و الغرام ونقض لعرى الإخلاص.و تعبر عن هذه الحالة الشاعرة زينب بنت فروة المرية بعد خيانة زوجها حيث مال إلى أخرى فقالت:

لنا صاحب لانشتهي أن نخونه و أنت لأخرى فارع ذاك خليل

تخـــــالك تهوى غيرها فكأنما لها في تظنيهـــــــا عليك دليل[37]

تكشف الشاعرة صدق إحساسها المرهف و إخلاصها لزوجها و أنها لا تشتهي الخيانة و بين اندفاع الرجل نحو امرأة أخرى يصحبها و يميل إليها.و تعبر ولادة بنت المستكفي عن حبها لابن زيدون و تلومه على ميله إلى جاريتها فتقول:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهـــــو جاريتي و لم تتخير

و تركت غصنا مثمرا بجـــــماله و جنحت للغصن الذي لم يثمر"[38]

هذه صرخة من أعماق متصدعة جراء خيانة الحبيب لحبيبه إذ أن ابن زيدون لم ينصفها في الحب فمال إلى جارية سوداء و ترك حرة جميلة بيضاء " إنها تشعر بالمرارة التي أخرجتها عن صمتها لتتحدث عن حبيبها الذي فاق حبها له كل شيئ ، و لكنه خدعها و خانها و تركها رغم ما تملكه من رحمة و خلق و حسن و جمال و ذكاء"[39] .و لا تختلف حفصة الركونية عن ولادة في إظهار غيرتها على حبيبها حين أحست أنه يميل إلى جارية سوداء فتقول:

عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر

لا يظهر البشر في دجاها كلا ولا يبصـــر الخفر

بالله قـــل لي و أنت أدرى بكل من هام في الصور

من ذا الذي هام في جنـــان لا نور فيهـــا و لا زهر[40]

تعجب الشاعرة من حبيبها الذي مال إلى سوداء لاشيء فيها يغري، فلونها الأسود لا يظهر الحسن و لا الجمال بل يخفي كل ما هو جميل كالليل الذي يستر الحسن، و تتساءل كيف لهذا الحبيب الذي يملك مهارة التمييز بين صور النساء و أشكالهن و مفاتنهن أن يفتتن بسوداء ينعدم فيها الجمال و البهاء كالجنة من غير ورد أو زهر.

3.3.الظلم:

الظلم هو انتقاص حقوق العباد و التعدي عليهم، و قد تحدث الشعراء عن الظلم و وجوب مقاومته، و المرأة الأندلسية تحدثت عنه في شعرها و بينت قسوته على النفس و مرارته، ومن هؤلاء الشاعرة حسانة التميمية التي فقدت والدها فقطع الوالي راتبها ففقدت بذلك وسيلة العيش فشعرت بالظلم فشكت ظلم الوالي إلى الأمير عبد الرحمن الثاني فقالت:

ليجبر صدعي إنه خير جابر و يمنعني من ذي الظلامـــة جابر
فإني و أيتامي بقبـضة كفه كذي ريش أضحى في مخالب كاسر[41]

تشكو الشاعرة سوء ما مسها من ظلم فقد أصبحت كالزجاجة المتصدعة التي يخشى كسرها في أي لحظة، و هي و أيتامها أشبه بفرخ صغير في مخالب جارح لا يرحم و تتوجه بشكواها إلى الأمير ليجبر صدعها و يواسي كسرها و ينصفها من ظالمها و يرد لها حقها المسلوب و يحميها وأبناءها من بطش الوالي . و تعرضت الشاعرة الشلبية إلى الظلم بسبب الحجز على مالها و دارها فتوجهت إلى أبي يعقوب المنصور لتزيل ما وقع عليها من حيف من صاحب الخراج فقالت:

يا قاصد المصر الذي يرجى به إن قدر الرحمن رفع كراهية
ناد الأمير إذا وقفـــــت ببابه يا راعيا إن الرعية فاكيـــة
أرســـــلتها هملا و لا مرعى لها و تركتها نهب السباع العادية
شلب كلا شلب و كانت جنـــة فأعادها الطاعون نارا حامية
عاثوا ما خافوا عـــــقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافـــية[42]

تشكو الشاعرة للأمير ظلم الطغاة في مدينتها شلب، فقد انتهكوا الحرمات و أهملوا القوانين و الأعراف و استباحوا الأعراض و قد شبهت الرعية بالأنعام التي أرسلت دون راع إلى المرعى فانتهبتها السباع و الوحوش الضارية .

4.3.التشاؤم:

التشاؤم صفة قبيحة لا ينبغي لمسلم أن يتصف بها إذ أنها طعن في القدر و حكمة الله و خوف من المجهول الذي لم يقع و ممكن أن لا يقع، "و الرجل المتشائم هو الذي لا يحسن الظن في ما حوله، ويرى أن الخير غير موجود إلا في أضيق مجال،و أن الشر يملأ المكان و أن الظلام يطغى على النور... و يرى أن الدنيا قد اسودت بوجهه و لا مجال للفوز بما يريد و أن حظه العاثر لا يصلح أبدا. "[43] ، و الشاعرة حفصة الركونية تصور ما وقع فيه حبيبها من اليأس و التشاؤم قالت:

يا مدعي في هوى الحس ن والغـــرام الإمامة
أمـدعي الـحب يثنـــي يأس الحبـيب زمامه
ضللـت كـل ضـلال و لم تفدك الزعامــة
ما زلت بصحب مذ كنـ ت في السباق السلامة
حتى عثرت و أخجلـ ت بافتضاح السآمة"[44]

تبدي الشاعرة عتابا رقيقا في ملاطفتها الحبيب بقولها " مدعي " أي يفتخر بإمامة الحسن و الغرام و من غير المعقول أن زعيم العشق و الهيام أن يقع في اليأس، فيثني قياده و يقبل بالقعود و يتحرى السلامة دون مخاطرة. و تعود شاعرتنا لتتصل بحبيبها الذي يأبى أن يتقدم لزيارتها يائسا من وصلها شاكا في حبها فتقول :

أزورك أم تـزور فإن قلـــبي إلى ما تشتهي أبدا يميـل
فثغـــري مـــورد عذب زلال و فرع ذؤابتـي ظل ظليل
و قد أملت أن تضمأ و تضحى إدا وافى إليـك بين المقيـل
فعجل بالجـواب فما جميـل إباؤك عن بثينة يا جميل [45]

لقد خرجت حفصة عن تقاليد المرأة العربية "فالمرأة مهما لج بها العشق، و مهما صنعت بها الصبابة، فإنه يجمل بها و لو من باب المراعاة لجنسها ألا تبوح بمكنون فؤادها، و أن تكون مطلوبة لا طالبة و مرغوبة لا راغبة، و أن تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة غير أن حفصة ضربت بكل ذلك عرض الحائط"[46] لكن ماذا تفعل أمام يأس و إباء حبيبها، فهي لا تملك إلا أن تبادر إلى زيارته إن لم يفعل لتحافظ على حبها و حبيبها، إن يأس الحبيب و تردده هو الذي دفع بها إلى إظهار هذه الجرأة غير المعهودة.

4.الخاتمة:

صورت الشاعرة الأندلسية الرجل الذي أعجبها و قبلت الارتباط به بعاطفة الحب أو الزواج من خلال مجموعة من الصفات التي عكست شخصية الرجل، فتارة تعتمد على الشكل و تارة على الأخلاق التي تجعل من الرجل شخصية ذات جلال و هيبة ، كما رسمت صورة للرجل الذي يفتقر إلى هذه الصفات، فنرى أن هذه الهيبة و الإجلال سرعان ما تتلاشى أمام سوء الأخلاق و سوء المنظر و قلة الوفاء.نستنتج من ذلك كله أن صورة الرجل في نظر المرأة متباينة، فحسب الصفات التي يمتلكها و يحوزها.

و قد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- أظهرت الدراسة جرأة المرأة الأندلسية في البوح بعواطفها و إظهار أحاسيسها دون خجل أو وجل و الكشف عن رغباتها.

- صورت المرأة الأندلسية الرجل بأبهى حلة وأجمل صورة وخلعت عليه من صفات الجمال و الجلال فجعلته كالشمس و القمر نورا و بهاء، و تزيده أخلاقه الفاضلة سموا ورفعة ومكانة عالية عندها.

- رسمت المرأة الأندلسية صورة قبيحة للرجل، فجردته من كل فضيلة و نزعت عنه صفات الجمال لما تميز به من أخلاق سيئة و صفات ذميمة حتى وقعت فيه بالهجاء إلى درجة الفحش و الإسفاف.

- تتوحد صفات الطبيعة و صفات الحبيب عند شواعر الأندلس في خدمة الغزل و التعبير عن لواعج الشوق و الحب .

- لغة شواعر الأندلس الغزلية لا تختلف عن لغة الرجال ، فهن يستعملن القاموس الرجالي بأدق مصطلحاته في الحب و الغرام .

و في ختام البحث لا يمكن أن ندعي أن البحث ألم بكل ما قيل في هذا الموضوع، فمهما بذلنا من الجهد و استفرغنا الوسع فهناك جهد لباحث آخر يتم ما بدأنا و يكمل ما أنجزنا و الكمال لله عز و جل، فمن غير المعقول أن تصادر جهود الباحثين مستقبلا إذ أن الشعر النسوي في الأندلس غني و ثري و يزخر بالصور و الرؤى و المواضيع التي تحتاج إلى مزيد من البحث و التقصي.

الهوامش

[1]- عيسى فوزي، شاعرات الأندلس و المغرب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص16

[2]- بوفلاقة سعد، 2003، الشعر النسوي الأندلسي، دار العلم، بيروت ،ص27

[3]- بوفلاقة سعد، الشعر النسوي الأندلسي، ص26

[4]- الشعكة مصطفى، 1979، الأدب الأندلسي- موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، ص46

[5]- الشنتريني ابن بسام، 1991، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم البدري،دار الكتب العلمية،ج1، ص26

[6]- كريم وافد، 2003، شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين، جامعة نكرين، ص49
[7]- الربيعي أحمد حاجم ، 2013، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء، عمان، ص51
[8]- الضبي، أحمد بن يحي، ب1967، غية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ص 545
[9]- المقري،أحمدبن محمد،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،دار صادر،ت احسان عبا،بيروت ج1، ص 64
[10]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص206
[11]- خفاجي محمد عبد المنعم،الأدب الأندلسي –التطور و التجديد-، دار الجيل،بيروت،1992،ص716
[12]- المرجع السابق، ج4، ص 298
[13]- الربيعي أحمد حاجم ، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، ص53
[14]- ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص286
[15]- كريم وافد، شعر المرأة الأندلسية، ص65
- [16] الضبي،أحمد بن يحي، ب1967، بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،دار الكاتب العربي،ص565
[17]- عيد ، يوسف دفاتر أندلسية ، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت 2006، ص601
[18]- الأبشيهي أبو الفتح شهاب الدين، المستظرف في كل فن مستطرف،المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص219
[19]- كريم وافد، شعر المرأة الأندلسية، ص
[20]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص141
[21]- ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد،طوق الحمامة في الألفة و الألاف،دار الأرقم،بيروت،2001،ص134
[22]- الحوفي أحمد محمد،الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلي،دار الكتب العلمية،القاهرة، 200، ص146
[23]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص267
[24]- الداية ، رضوان،في الأدب الأندلسي،دار الفكر ،دمشق،2000،ص57
[25]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص298
[26]- أحمد حاجم الربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، ص53
[27]- السيوطي جلال الدين، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة بولاق، القاهرة، ص78
[28]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص141
[29]- السيوطي، نزهة الجلساء، ص43
[30]أ الربيعي حمد حاجم ، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية،ص57
[31]- أحمد حاجم الربيعي، صورة الرجل في الشعر النسوي الأندلسي،ص58
[32]- السيوطي، نزهة الجلساء، ص62
[33]- بوفلاقة سعد ، الشعر النسوي الأندلسي، ص50
[34]- المقري، نفح الطيب، ج5، ص50

[35]- الربيعي أحمد حاجم ، صورة الرجل في الشعر النسوي الأندلسي، ص58
[36]- المقري، نفح الطيب،ج 1،ص 192
[37]- المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 169
[38]- ابن بسام، الذخيرة، ج 1، ص 431
[39]- بنت إبراهيم السبيل ، وفاء،شعر الغزل عن دالشاعرات الأندلسيات و شاعرات التروبادور،مجلة حوليات التراث ،العدد14،جامعة مستغانم، 2014، ص 45
[40]- المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 179
[41]- المقري، نفح الطيب،ج 5، ص 300
[42]- المقري، نفح الطي ب، ج 4، ص 294
[43]- الربيعي أحمد حاجم ، الرجل في الشعر النسوي الأندلسي، ص 65
[44]- المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 178
[45]- المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 178
[46] - مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 225

فهرس المراجع :

- **المؤلفات**

1 - الأبشيهي أبو الفتح شهاب الدين، المستظرف في كل فن مستطرف، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
2 - بوفلاقة سعد، 2003، الشعر النسوي الأندلسي، دار العلم، بيروت .
3 - أحمد محمد الحوفي،2001، الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، القاهرة.
4- ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد،2001،طوق الحمامة في الألفة و الألاف،دار الأرقم،بيروت،لبنان.
5- الداية ، رضوان،2000 ،في الأدب الأندلسي،دار الفكر ،دمشق،2000.
6 - كريم وافد، 2003، شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين، جامعة نكرين.
7- خفاجي محمد عبد المنعم،1992،الأدب الأندلسي –التطور و التجديد-، دار الجيل،بيروت.
8 - المقري، أحمد بن محمدنفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت.
9- السيوطي جلال الدين، 1988،نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة بولاق، القاهرة.
10- عيد ، يوسف ،2006، دفاتر أندلسية ، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت .
11 - عيسى فوزي، 2006،شاعرات الأندلس و المغرب ،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية .
12 - الربيعي أحمد حاجم، 2013، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء، عمان.
13- الشعكة مصطفى، 1979، الأدب الأندلسي- موضوعاته و فنونه،دار العلم للملايين، ط4، بيروت
14 - الشنتريني ابن بسام، 1991، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص1، ص26، تح سالم البدري، دار الكتب العلمية.
15 - الضبي، أحمد بن يحي، 1967، بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،دار الكاتب العربي.

- **المقالات**

16- بنت إبراهيم السبيل ، وفاء،2014، شعر الغزل عند الشاعرات الأندلسيات و شاعرات التروبادور،مجلة حوليات التراث ،جامعة مستغانم، ،العدد14 ، الصفحات 39- 55.